

● أصحاب الإجماع..

قراءة في الفكر والتاريخ الشيعي

■ الشيخ زكريا داوود*

جميل بن دراج.. الفقيه الداعية

الشخصية الأولى من أصحاب الإجماع من الطائفة الثانية هو أبو علي جميل بن دراج رضي الله عنه أحد الفقهاء الذين تزعموا الشيعة في عصر الأئمة عليهم السلام، فقد تلقى العلم عن أهل البيت الذين طهرهم الله من الرجس والدنس، فكان الإمام جعفر بن محمد الصادق (٨٠-١٤٨هـ/٦٩٩-٧٦٥م) معلمه الأول ومن بعده ابنه الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام (١٢٨-١٨٣هـ/٧٤٥-٧٩٩م)، وقد أدرك الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام (١٥٣-٢٠٣هـ/٧٧٠-٨١٨م)، وكان جميل محبوباً لدى الأئمة الأطهار عليهم السلام لما يقوم به من الدفاع عن الحق ولما يمثله من قدوة في الإيمان والتسليم لله ولرسوله وأهل بيته.

انحدر جميل من بيت عُرف بالولاء لأهل البيت الطاهرين عليهم السلام، وقد كان رغم بساطة العيش، بل رغم الفقر متمسكاً بحب الأهل عليهم السلام، فلم يكن الفقر أمراً مهماً ما دام القلب مطمئناً بالإيمان والتسليم للحق، وكان هذا حال من عُرف بالحب والولاء لآل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فقد مارست السلطة الأموية والعباسية سياسة الحصار الاقتصادي على الشيعة، عبر منع الأعطيات من بيت المال، وزيادة الضرائب، ومنعهم من وظائف الدولة، وهي سياسة استمرت ضد شيعة أهل البيت الطاهرين عليهم السلام حتى العصر الراهن حيث تمارس حكومات عربية وإسلامية السياسة الأموية والعباسية ذاتها، وكأن حب آل الرسول جرمٌ

* رئيس التحرير - عالم دين وباحث - السعودية.

مع أن الله يقول في كتابه: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (١).

وقد كان والد جميل من هذه الفئة التي طاردهم الدولة الأموية في أرزاقهم، وكفي يعيل أسرته عمل في حرفتين هما البقالة والحياكة، لكنه حث أبناءه على طلب العلم من أهل البيت (عليه السلام)، وأصحابهم، فشب جميل ونوح الأخوان وهما يعيشان العلم، فتعلمنا عند زيارة بن أعين، وقد سأل محمد بن أبي عمير جميلاً ذات يوم حيث قال له: ما أحسن محضرك وأزين مجلسك؟ فقال: أي والله ما كنا حول زيارة بن أعين إلا بمنزلة الصبيان في الكتاب حول المعلم (٢) ..

وهذه الحالة الاقتصادية التي فرضتها السلطات الأموية على الشيعة على الرغم من أنها لم تحد وتقلل من محبة هذا البيت لآل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، إلا أنها أثرت على النشاطات الاجتماعية لبعض أفرادها وخصوصاً الابن الأكبر جميل بن دراج، حيث لم يستطع حضور الجماعة في مسجد الكوفة، والسبب هو عدم امتلاكه ثوباً يستر به جسمه، فقد قال محمد بن مسعود: سألت أبا جعفر حمدان بن أحمد الكوفي عن نوح بن دراج؟ فقال: كان من الشيعة، وكان قاضي الكوفة، فقيل له: لم دخلت في أعمالهم؟ فقال: لم أدخل في أعمال هؤلاء حتى سألت أخي جميلاً يوماً، فقلت له: لم لا تحضر المسجد؟ فقال: ليس لي إزار (٣).

ويبدو من هذه الرواية أن نوحاً قد ساعد جميلاً في الخروج من هذه المحنة، فانطلقا كلاهما في أفاق العلم والتعلم عند زيارة بن أعين (٧٨-١٤٨هـ)، وغيره من أصحاب الأئمة (عليه السلام)، فقد روى عما يقارب ٤٣ رجلاً ممن تلقوا عن الأئمة علومهم، لكن معلم جميل الأبرز في حياته هو زيارة بن أعين، الذي نقل روايات عن الإمام الصادق (عليه السلام) تدل على مدحه والثناء عليه.

جميل بن دراج: صاحب السر عند الصادق (عليه السلام):

وبرز جميل من بين الكثيرين، وأصبح من أقطاب مدينة الكوفة التي مثل الشيعة فيها الغالبية، وكان ما يحمل من صفات أخلاقية وعلمية وإيمانية دافعاً للكثير من الشيعة لاحترامه والرجوع إليه في فهم أحكام الإسلام وفقه أهل البيت (عليه السلام)، وكانت له حلقة في مسجد الكوفة يدرس فيها طلابه ومريديه علوم أهل البيت (عليه السلام)، وكان ممن حضروا هذه الحلقة ومحضر الدرس شيخ الطائفة في الكوفة وبغداد بعد ذلك محمد بن أبي عمير (ت ٢١٧هـ)، وقد كثرت روايات محمد بن أبي عمير - وهو أحد أصحاب الإجماع - عن جميل.

كما قام جميل قام بتدوين كل ما سمعه من الأحاديث من الرواة أو من الأئمة

عليه السلام مباشرة وسجل كل ذلك في كتاب عُد أحد الأصول الأربعمائة التي نقل منها محمد ابن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ/٩٤١م) في كتابه الكافي، كما نقل محمد بن علي المعروف بالشيخ الصدوق (٣٠٦-٣٨١هـ/٩١٨-٩٩١م) عن الأصول في كتابه «من لا يحضره الفقيه»، وشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (٢٨٥-٤٦٠هـ/٩٩٥-١٠٦٧م) في كتابه «الاستبصار» و«التهذيب» وهما ثالث ورابع الكتب الأربعة عند الشيعة الإمامية.

واهتم جميل بن دراج بأحاديث أهل البيت عليه السلام، مما جعله يقوم بجهد مشترك مع بعض الأصحاب لتدوين الحديث، حيث نقلت الكتب التاريخية أنه اشترك في تدوين كتابين أحدهما مع محمد بن حمران بن أعين، وقد رواه الحسن بن علي ابن بنت إلياس عنهما، والكتاب الآخر اشترك فيه مع مرازم بن حكيم، وقد وقع جميل بن دراج في إسناد كثير من الروايات التي بلغ عددها ٥٧٠ مورداً، كما أنه روى الكثير من الأحاديث عن الأئمة عليه السلام، وبالأخص الذين عاصروهم أو كان قريباً من عصرهم وهم: محمد بن علي الباقر عليه السلام (٥٧-١١٤هـ/٦٧٦-٧٣٢م)، ولم يلتق به عليه السلام، وروى عن ابنه جعفر بن محمد عليه السلام، وعن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وعاش إلى زمن الإمام الرضا عليه السلام، وتبلغ رواياته التي وصلتنا عن المعصوم ٢٣٩ مورداً.

وبسبب كل ذلك ولإيمانه الذي لا يتزلزل أصبح من المقربين لدى الإمام الصادق عليه السلام ومن أصحاب السر عنده، فقد روى جميل عن أبي عبدالله عليه السلام قال، قال لي: يا جميل لا تحدث أصحابنا بما لم يجمعوا عليه فيكذبوك^(٤)، ومما يدل كذلك على مكانته ما رواه محمد بن حسان، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يتلو هذه الآية ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾^(٥)، ثم أهوى بيده إلينا، ونحن جماعة فينا جميل بن دراج وغيره، فقلنا: أجل والله جعلت فداك لا تكفر بها^(٦).

وكان جميل من العباد الزهاد، الذين انصرفوا للعبادة فلم تغره الدنيا، مع شدة جهده وعمله وحرصه في تبليغ روايات وعلوم أهل البيت عليه السلام، فقد حدث الفضل بن شاذان، قال: دخلت على محمد بن أبي عمير، وهو ساجد فأطال السجود، فلما رفع رأسه ذكر له الفضل طول سجوده، فقال: كيف لو رأيت جميل بن دراج، ثم حدثه أنه دخل على جميل ابن دراج فوجده ساجداً فأطال السجود جداً، فلما رفع رأسه قال له محمد بن أبي عمير: أطلت السجود، فقال: كيف لو رأيت معروف بن خربوذ^(٧).

عبدالله بن مسكان.. ترسيخ العقيدة

حفلت الكوفة بالعديد من الشخصيات الفقهية، وبالأخص في نهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية، وكان النقاش العقائدي والفكري والفقهي واللغوي محتتماً بين

تيارات المعرفة الكوفية، وقد تبلورت مدارس خاصة لكل علم من تلك العلوم، لكن المدرسة التي دان لها الجميع بالتفوق والتميز وقوة الحجة والبرهان والدليل هي مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فقد استقطبت العديد من الشخصيات التي كانت تختلف معها في المنطلق الفكري، كما نلاحظ ذلك عند أبي حنيفة (١٥٠-٨٠هـ/٦٩٩-٧٦٧م)، الذي درس عند الإمام الصادق عليه السلام سنتين جعلته يفخر بهما على الكثير من أقرانه، حتى نقل عنه قوله مفتخراً: «لولا السنن لهلك النعمان»^(٨).

وكان من بين الشخصيات التي خاضت المعترك الفكري بكل جوانبه، أبو محمد عبدالله ابن مسكان (توفي في حياة الكاظم عليه السلام) الذي ينتسب بالولاء لقبيلة الشهيرة عنزة، وقد عُدَّ من أصحاب الإجماع في الطبقة الثانية التي روت عن الإمام الصادق عليه السلام والكاظم عليه السلام، وكان ذا لسان طلق عند المحاجة، وروى الكثير من الأحاديث التي توضح الأصول الاعتقادية لأهل البيت الطاهرين عليهم السلام، كما أن له روايات كثيرة في الفروع الفقهية، ونلاحظ اهتمامه بالدعوة للحق من خلال تأليفه لكتاب خاص بمسألة الإمامة، ومما رواه في مسألة الإمامة عن أبي بصير رضي الله عنه قال: عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إن الله (عز وجل) لا يدع الأرض إلا وفيها عالم، يعلم الزيادة والنقصان، فإذا زاد المؤمنون شيئاً ردهم، وإذا نقصوا أكملهم لهم، وقال: خذوه كاملاً، ولولا ذلك لالتبس على المؤمنين أمرهم، ولم يفرق بين الحق والباطل^(٩).

وقد روى ابن مسكان العديد من الروايات ذات المدلول العقائدي، حفلت بها الكتب الأربعة وغيرها من الكتب التي بحثت في الأصول الاعتقادية، ويمكن ملاحظة ركون الفقهاء إلى مرويات مسكان سواء في الفروع الفقهية أو غيرها، وقام السيد الخوئي عند تعرضه لبحث حال ابن مسكان بإحصاء ما رواه عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: روايات عبدالله ابن مسكان عن الصادق عليه السلام في الكتب الأربعة كثيرة، تبلغ خمسة وثلاثين مورداً^(١٠)، وعند الحديث عن طريق الشيخ الصدوق إلى عبدالله بن مسكان يقول بعد أن انتقد الأردبيلي عندما قال إن طريقه إليه مجهول: وقع بهذا العنوان في كثير من الروايات تبلغ مائتين وتسعة وسبعين مورداً، فقد روى عن أبي عبدالله عليه السلام وعن أبي بصير رضي الله عنه، ورواياته عن أبي بصير تبلغ سبعة وخمسين مورداً^(١١). كما أن له كتاباً في الفروع الفقهية أسماه «في الحلال والحرام»، وقد أكثر فيه من الرواية عن محمد بن علي بن شعبة الحلبي، بل كان ممن تتلمذ عليه وأخذ العلم عنه، ومما يلاحظه المتتبع كثرة مرويات الحلبي عن الصادق عليه السلام، لأنه كان كثير السؤال للإمام الصادق عليه السلام في كل أمر يتعرض له أو يُسأل عنه.

وبخلاف جميل بن دراج كان عبدالله بن مسكان رجلاً موسراً كثير المال، فكان إذا اجتمعت عنده المسائل التي لا يرى فيها حكماً يرسل رجلاً من أصحابه للمدينة بتلك المسائل، فتأتي الأجوبة عليها مكتوبة بخط الإمام عليه السلام، ولهذا قال الكشي (ت ٣٨٥هـ): إن عبدالله

لم يسمع من الإمام عليه السلام مباشرة إلا حديثاً واحداً هو حديث «من أدرك المشعر فقد أدرك الحج»، لكن السيد الخوئي في كتابه «معجم رجال الحديث» يرد هذا الزعم قائلاً: روايات عبدالله بن مسكان عن الصادق عليه السلام في الكتب الأربعة كثيرة، تبلغ خمسة وثلاثين مورداً، والالتزام بالإرسال في جميع ذلك كما ترى، على أنه صرح في بعض هذه الروايات بأنه سأل أبا عبدالله عليه السلام، أو أنه سمع أبا عبدالله عليه السلام، فكيف يمكن حملها على الإرسال^(١٢). وهناك أمر آخر يُقوّي به الكشي رحمته الله القول بعدم السماع من الإمام عليه السلام مباشرة، وهو ما أورده أبو النصر محمد بن مسعود، حيث قال: إن ابن مسكان كان لا يدخل على أبي عبدالله عليه السلام شفقة ألا يوفيه حق إجلاله، فكان يسمع من أصحابه ويأبى أن يدخل عليه إجلالاً وإعظماً له عليه السلام^(١٣).

ويرد هذا الرأي السيد الخوئي رحمته الله حيث يعتبره زعماً ويورد بعض النصوص التي رواها ابن مسكان عن الإمام الصادق عليه السلام مباشرة، كما في كامل الزيارات وتفسير القمي، ويفند كذلك القول بكونه من رموز الواقفة، حيث يستعرض رواية نقلها الشيخ في كتاب الغيبة، وهو ما رواه ابن عقدة، عن علي بن الحسن بن فضال، عن محمد بن عمر بن يزيد وعلي بن أسباط جميعاً، قالوا: قال لنا عثمان بن عيسى الرؤاسي: حدثني زياد القندي وابن مسكان، قالوا: كنا عند أبي إبراهيم عليه السلام إذ قال: يدخل عليكم الساعة خير أهل الأرض، فدخل أبو الحسن الرضا عليه السلام، وهو صبي، فقلنا: خير أهل الأرض؟ ثم دنا فضمه إليه فقبله، وقال: يا بني تدري ما قال ذان؟ قال: نعم يا سيدي، هذان يشكان فيّ، قال: علي ابن أسباط: فحدثت بهذا الحديث الحسن بن محبوب، فقال بتر الحديث: لا ولكن حدثني علي بن رثاب أن أبا إبراهيم عليه السلام قال لهما: إن جحدماه حقه أو خنتماه فعليكما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، يا زياد لا تتجب أنت وأصحابك أبداً... الحديث.

ويعلق السيد الخوئي على الرواية بقوله: الرواية كما نقلت أولاً دالة على ذم ابن مسكان، وعلى أنه من الواقفة كزياد القندي، ولكن الحسن بن محبوب كذب ذلك وذكر ما ذكر، والذي يمكن أن يقال: إن قول أبي إبراهيم عليه السلام: (إن جحدماه حقه) كان من القضايا الفرضية، وكان المقصود بذلك ردع زياد القندي عما سوف يرتكبه بعد ذلك، ولأجل ذلك خصه بالخطاب، وقال: يا زياد لا تتجب أنت وأصحابك أبداً، ولم يشرك ابن مسكان في ذلك.

ومما يؤكد ذلك أن ابن مسكان لم يبق إلى زمان إمامة الرضا عليه السلام، على ما شهد به النجاشي، ولم يذكر أحد إدراكه زمان الرضا عليه السلام، نعم روى محمد بن يعقوب، عن سعد بن عبد الله وعبد الله بن جعفر جميعاً، عن إبراهيم بن مهزيار، عن أخيه علي بن مهزيار، عن الحسين بن سعيد، عن محمد بن سنان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، قال: قبض موسى بن جعفر عليه السلام وهو ابن أربع وخمسين سنة في عام ثلاث وثمانين ومائة، وعاش

بعد جعفر عليه السلام، خمساً وثلاثين سنة، وهذه الرواية صريحة في بقاء ابن مسكان إلى زمان الرضا عليه السلام، إلا أنها مضافاً إلى ضعف سندها بمحمد بن سنان، غير قابلة للتصديق في نفسها، فإن أبا بصير مات في سنة (١٥٠) على ما يأتي في ترجمة يحيى بن أبي القاسم من النجاشي والشيخ، فلا يمكن أن يروي زمان وفاة الكاظم عليه السلام ^(١٤).

عبدالله بن بكير.. مواجهة في زمن المحنة

اشتدت المحنة على بني هاشم وبالأخص أبناء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (ت ٤٠هـ/٦٦١م)، فبعد أن تنفسوا الصعداء عند زوال الدولة الأموية وفي بدايات الدولة العباسية وخصوصاً في حياة أول سلاطينها أبي العباس السفاح (١٠٤هـ/٧٢٢-٧٥٤م)، وإذا بالتكيد والقتل والتشريد يعاود الكر على العلويين وأتباعهم ومن يقول بإمامة القادة منهم، حتى أخذ الإمام الصادق عليه السلام يشكو إلى الله ما يعانيه من سلطة العباسيين، ويتمنى لو يمكنه الابتعاد عن تلك العيون التي ترقب تحركاته وترسل بأخباره صدقاً وكذباً لأبي جعفر المنصور (٩٥هـ/٧١٤-٧٧٥م)، وقد أثرت تلك الرقابة المفروضة في حركة الإمام عليه السلام الاجتماعية، حيث خاف الناس من الجواسيس المنتشرين في المدينة، والذين يكيلون الأذى والتكيد على من يقترب من الإمام عليه السلام، فأصبحوا يتحاشون لقياه وينقل لنا عنبسة بعض ما جاش به صدر الإمام عليه السلام من حزن وبثه إليه عندما رآه، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أشكو إلى الله وحدتي وتقلقي من أهل المدينة حتى تقدموا، وأراكم أسرَّ بكم، فليت هذا الطاغية أذن لي فأتخذت قصراً في الطائف فسكنته، وأسكنتكم معي، وأضمن له أن لا يجيء من ناحيتنا مكروه أبداً ^(١٥).

وتواصلت المحنة واشتدت مع وفاة الإمام الصادق عليه السلام عام ١٤٨هـ، وأصبح التكيد والسجن والتشريد وهدم بيوت العلويين عليهم وهم أحياء سياسة عامة تتخذها الدولة تجاه أهل البيت النبوي الطاهر عليهم السلام، وقد أحدثت هذه السياسة السلطوية أزمة في المجتمع الإسلامي وخصوصاً عند الموالين لأهل البيت عليهم السلام، تمثلت في عدم تعرّف فئة اجتماعية كبيرة من الناس على الإمام الواجب اتباعه بعد رحيل الإمام الصادق عليه السلام، وطال هذا الأمر حتى رموز وأعيان المجتمع الشيعي وأحدهم كان عبدالله بن بكير بن أعين، وهو أحد الذين أجمع على الأخذ بمروياتهم فقهاء أهل البيت عليهم السلام، فأصبح فطحياً، والفتحية فرقة اتبعت عبدالله بن جعفر الصادق عليه السلام، المعروف بالأفطح، لأنه كان أفضح الرجلين، وقد رجع عن القول بإمامته الكثير من الشخصيات الشيعية لما امتحنوه بمسائل من الحلال والحرام ولم يكن عنده جواب، ولما ظهرت منه الأشياء التي لا ينبغي أن تظهر من الإمام، ثم إن عبدالله مات بعد أبيه بسبعين يوماً، فرجع الباقيون-الشذاذ منهم- عن القول بإمامته إلى القول بإمامة أبي الحسن موسى عليه السلام ^(١٦).

أصاب الإجماع.. قراءة في الفكر والتاريخ الشيعي

وكي تتوضح معاناة أهل البيت وأتباعهم (عليه السلام)، نستعرض خبر هشام بن سالم وهو أحد أقطاب مدرسة أهل البيت (عليه السلام)، ليشرح لنا معاناته هو وشخصيات بارزة في المجتمع الشيعي بل والمجتمع عموماً حتى يمكننا أن نعرف الأجواء والمحيط الاجتماعي والسياسي الذي عايشه عبدالله بن بكير وغيره من الشيعة، حيث يقول: كنا في المدينة بعد وفاة أبي عبد الله (عليه السلام) أنا ومؤمن الطاق (أبو جعفر) والناس مجتمعون على أن عبدالله (الأفطح) صاحب (الإمام) بعد أبيه، فدخلنا عليه أنا وصاحب الطاق، والناس مجتمعون عند عبدالله وذلك أنهم رووا عن أبي عبدالله (عليه السلام): أن الأمر في الكبير ما لم يكن به عاهة فدخلنا نسأله عمّا كنا نسأل عنه أباه، فسألتناه عن الزكاة في كم تجب؟ قال: في مائتين خمسة، قلنا: ففي مائة؟ قال: درهمان ونصف درهم.

قلنا له: والله ما تقول المرجئة هذا. فرفع (الأفطح) يده إلى السماء، فقال: لا، والله ما أدري ما تقول المرجئة!

قال: فخرجنا من عنده ضلّالاً، لا ندري إلى أين نتوجه أنا وأبو جعفر الأحول فقعدنا في بعض أزقة المدينة باكين حيارى لا ندري إلى من نقصد وإلى أين نتوجه؟! نقول: (نذهب) إلى المرجئة؟ إلى القدرية؟ إلى الزيدية؟ إلى المعتزلة؟ إلى الخوارج؟

قال: فنحن كذلك إذ رأيت رجلاً شيخاً لا أعرفه يومئ إليّ بيده، فخفت أن يكون عيناً (جاسوساً) من عيون أبي جعفر (المنصور الدوانيقي). وذلك أنه كان له بالمدينة جواسيس ينظرون على من اتفق شيعة جعفر (الصادق) فيضربون عنقه، فخفت أن يكون (الرجل الشيخ) منهم.

فقلت لأبي جعفر (مؤمن الطاق): تنح فإني خائف على نفسي وعليك، وإنما يريدني (الشيخ) ليس يريدك، فتنح عني، لا تهلك وتُعين على نفسك.

فتنحى غير بعيد، وتبعت الشيخ، وذلك أنني ظننت أنني لا أقدر على التخلص منه، فما زلت أتبعه حتى ورد بي على باب أبي الحسن موسى (الكاظم) (عليه السلام) ثم خلّاني ومضى، فإذا خادم بالباب فقال لي: أدخل، رحمك الله. قال: فدخلت فإذا أبو الحسن (الكاظم) (عليه السلام) فقال لي ابتداءً: لا إلى المرجئة، ولا إلى القدرية، ولا إلى الزيدية، (ولا إلى المعتزلة)، ولا إلى الخوارج، إليّ إليّ إليّ.

قال (هشام): فقلت له: جعلت فداك مضى أبوك؟ قال: نعم. قلت: جعلت فداك مضى في موت؟ قال: نعم، قلت: جعلت فداك فمن لنا بعده؟ فقال: إن شاء الله يهديك هداك.

قلت: جعلت فداك، إنَّ عبدالله (الأفطح) يزعم أنه (إمام) من بعد أبيه فقال: يريد عبدالله الأفطح ألا يُعبد الله.

قال: قلت له: جعلت فداك، فمن لنا بعده؟ فقال: إن شاء الله أن يهديك هداك أيضاً.

قلت: جعلت فداك، أنت هو (الإمام)؟ قال: ما أقول ذلك.
قلت في نفسي لم أصب طريق المسألة (أي أخطأت في كيفية السؤال).
قال (هشام): قلت: جعلت فداك، عليك إمام؟ قال: لا. فدخلني (دخل قلبي) شيء لا يعلمه إلا الله إعظماً له وهيبة، أكثر ما كان يحلّ بي من (هيبة) أبيه (الإمام الصادق) إذا دخلت عليه.

قلت: جعلت فداك، أسألك عما كان يُسأل أبوك؟ قال: سل تُخبر، ولا تُدع (أي لا تنشر الخبر) فإن أذعت فهو الذبح.

قال (هشام): فسألته فإذا هو بحر!
قال (هشام): قلت جعلت فداك، شيعتك وشيعة أبيك ضلال، فألقي إليهم (أخبرهم) وأدعوهم إليك؟ فقد أخذت عليّ بالكتمان.

فقال (الإمام): من آنست منهم رشداً، فألق عليهم أخبرهم وخذ عليهم بالكتمان، فإن أذاعوا فهو الذبح وأشار بيده إلى حلقه^(١٧)..

تكشف لنا هذه الرواية التاريخية الكثير من الحقائق سوف نسلط الضوء على بعضها:

١- فقدان الأمن في المجتمع الإسلامي، وخصوصاً في مدينة الرسول ﷺ، حيث ساد جو من الرعب والخوف. ويعود سبب ذلك إلى كثرة الجواسيس التي ترصد على الناس حركتهم، ويتهم الإنسان بمجرد الميل لأهل البيت (عليهم السلام)، ويكون مصيره القتل إن شكّت السلطة في ولائه. وهذه الحالة من الخوف تتضح في قول هشام بن سالم: إذ رأيت رجلاً شيخاً لا أعرفه يومئ إليّ بيده، فخفت أن يكون عيناً (جاسوساً) من عيون أبي جعفر (المنصور الدوانيقي). وذلك أنه كان له بالمدينة جواسيس ينظرون على من اتفق شيعة جعفر (الصادق) فيضربون عنقه، فخفت أن يكون (الرجل الشيخ) منهم.

٢- عدم معرفة المجتمع الإسلامي الإمام الذي يجب اتباعه بعد وفاة الإمام الصادق (عليه السلام)، مما خلق فرصة للأدعياء أن يدلّسوا على الناس الأمر، ولم تكن هذه الظاهرة مختصة بعامة الناس، بل حتى الشخصيات وخواص الأئمة (عليهم السلام)، وقعوا في هذه الإشكالية كما نلاحظ ذلك من قول هشام بن سالم ومؤمن الطاق، يقول هشام: فخرجنا من عنده (الأفطح) ضلّالاً، لا ندري إلى أين نتوجه أنا وأبو جعفر الأحول، فقعدنا في بعض أزقة المدينة باكين حيارى لا ندري إلى من نقصد وإلى أين نتوجه؟!.

وبالطبع لم يكن هذا الغموض في معرفة الإمام (عليه السلام) عاماً لكل الشخصيات الشيعية، بل إن جماعة كثيرة من أصحاب الأئمة (عليهم السلام) كانت عارفة بالأمر، كما ينقل لنا داود بن كثير

أصاب الإجماع.. قراءة في الفكر والتاريخ الشيعي

الرقبي ذلك حيث يقول: وفد من خراسان وافد يكتئى أبا جعفر، اجتمع إليه جماعة من أهل خراسان، فسألوه أن يحمل لهم أموالاً ومتاعاً ومسائلهم في الفتاوى والمشاورة، فورد الكوفة ونزل وزار قبر أمير المؤمنين عليه السلام، ورأى في ناحية المسجد رجلاً حوله جماعة. فلما فرغ من زيارته قصدهم فوجدهم شيعة فقهاء يسمعون من الشيخ، فقالوا: هو أبو حمزة الثمالي.

قال: فبينما نحن جلوس إذ أقبل أعرابي، فقال: جئت من المدينة، وقد مات جعفر بن محمد عليه السلام فشقق أبو حمزة ثم ضرب بيده الأرض، ثم سأل الأعرابي: هل سمعت له بوصية؟

قال: أوصى إلى ابنه عبدالله وإلى ابنه موسى، وإلى المنصور. فقال: الحمد لله الذي لم يضلنا، دلّ على الصغير وبيّن على الكبير، وستر الأمر العظيم. ووثب إلى قبر أمير المؤمنين عليه السلام فصلى وصلينا. ثم أقبلت عليه وقلت له: فسّر لي ما قلته؟ قال: بيّن أن الكبير ذو عاهة ودلّ على الصغير أن أدخل يده مع الكبير، وستر الأمر العظيم بالمنصور حتى إذا سأل المنصور: من وصيّه؟ قيل أنت. قال الخراساني: فلم أفهم جواب ما قاله ^(١٨).

واستمرت السلطة العباسية في سياسة البطش والإرهاب لأهل البيت وأتباعهم عليهم السلام، حتى كان رواة الشيعة إذا أرادوا نقل رواية عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لا يصرحون باسم الإمام عليه السلام خوفاً من السلطة، وكانوا غالباً ما يكونون عن الإمام بقولهم: قال أبو إبراهيم، وسمعت أبا إبراهيم، أو قال العبد الصالح، أو سألت السيد، أو قال العالم وهكذا، خوفاً من بطش العباسيين، الذين يرون مجرد نقل رواية عن الإمام مخالفة للسياسة السلطوية وخروجاً عن أوامر خليفة المسلمين!!!.

٣- سعي السلطات لترويج مبادئ وأفكار وعقائد مخالفة لعتره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عبر فرض الحصار الفكري والأمني على أهل البيت عليهم السلام، وهذا ما نلاحظه عندما قيدت حركة الأئمة الأطهار عليهم السلام، حيث راجت المبادئ والأفكار والعقائد المخالفة، وأصبح كل شخص يفسر آيات القرآن حسب رأيه ويستتبط أحكام الدين حسب هواه، فنشأت فرق عديدة، كل يعرض أفكاره في المجتمع على أنها الحق، ويعتبرون أنفسهم قادة الأمة ورواد الدين، يقول هشام وهو يستعرض تلك الفرق عندما كان حائراً: نقول: (نذهب) إلى المرجئة؟ إلى القدرية؟ إلى الزيدية؟ إلى المعتزلة؟ إلى الخوارج.

ولا إشكال في أن السبب الرئيس في رواج الأفكار البعيدة عن فهم حقيقة الدين هو البعد عن أهل البيت عليهم السلام، وهو الأمر الذي كانت سياسة العباسيين والأمويين تكرسه في عقلية الأمة، وإلى الآن نرى الكثير من الناس يجهل من يجب عليه اتباعه من الأئمة

عليه السلام، مع أن الكثير من حفاظ الحديث يروون حديثاً عن رسول الله ﷺ، وهو: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية^(١٨)، وبالطبع ليس هناك من يدعي كونه إماماً لكل المسلمين ويعرف أحكام الإسلام بشكل مطلق وتام غير الإمام محمد بن الحسن عليه السلام (٢٥٥هـ - حي غائب)، الذي غيبتة سياسة البطش والتكليل التي لا زالت سائدة إلى وقتنا الراهن..

عبدالله بن بكير.. والرجوع للحق:

هكذا كان الجو خانقاً والسلطة تكشر عن أنيابها لكل من يوالي العترة، وكان عبدالله ابن بكير يرقب هذا الواقع ويتأمل سبل الخروج منه، لكن الأمر في مثل تلك الظروف يلتبس على الحصيف حتى يكاد يفقد المخرج.

وقد روى عبدالله بن بكير عن الصادق عليه السلام وعده الفقهاء من أصحاب الإجماع الذين لا يُتوقف في روايتهم، لكن بعضهم خالف المشهور وتوقف في الأخذ بما يرويه، يقول العلامة المامقاني في كتابه «تنقيح المقال في علم الرجال»، بعد أن ذكر أقوال علماء الرجال الذين وثقوه واعتمدوا الأخذ بروايته، مع التعريض به بسبب فساد عقيدته: اعلم أن الفقهاء قد اختلفوا في قبول رواية الرجل وعدمه فبنى جمع على عدم القبول، منهم المحقق في الاعتبار والفاضل المقداد في التنقيح والشهيد الثاني في المسالك وروض الجنان، فقد قال في مواضع من المعتمد والتنقيح وغيرهما مكرراً: إن الرواية ضعيفة بعبدالله بن بكير وهو فطحي، وفي روض الجنان قال: إن في رواية عبدالله بن بكير بحث لأن في سندها ابن بكير وهو فاسد العقيدة وإن كان ثقة^(٢٠).

لكن العلامة المامقاني (١٢٩٠-١٣٥٢هـ) يرفض قول بعض الفقهاء بضعف روايات عبدالله بن بكير، ويورد الأدلة على صحة ما يرويه مستدلاً بتهافت أقوال بعض الفقهاء المضعفين حيث قال بعضهم بضعفه في كتاب ووثقه في كتاب آخر، والحق والإنصاف كون حديث الرجل بحكم الصحيح لتوثيق الشيخ عليه السلام إياه في فهرسته، وقوله في العدة: إن الطائفة عملت بما رواه عبدالله بن بكير. وعده الكشي ممن أجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنه، وكيف يعقل البناء على صحة ما يرويه عن كائن من كان من مجهول أو ضعيف وعدم البناء على ما يرويه هو، ثم ما ثمرة عده ممن أجمعت العصابة عليه إذا كان هو غير مقبول الرواية. وعده الشيخ المفيد في عبارته التي نقلناها من فقهاء أصحاب الصادقين عليه السلام، والأعلام الرؤساء المأخوذ عنهم الحلال والحرام والفتيا والأحكام الذين لا يُطعن عليهم ولا طريق إلى ذم واحد منهم وهم أصحاب الأصول المدونة والمصنفات المشهورة. فرفع اليد عن هذه الشهادات القوية والتصديقات القوية لمجرد رمي الرجل بالفطحية لا وجه له، بل اللازم الأخذ بها وترتيب آثار الصحيح على أحاديثه وترك التشكيك

فيها، مضافاً إلى عدم قادحية بقائه على الفطحية إلى آخر أمره شيئاً فإن الفطحي يقول بإمامة الأئمة الاثني عشر ويضيف إليهم عبدالله الأفطح ابن الصادق (عليه السلام) ويدخله بين الصادق (عليه السلام) والكاظم (عليه السلام)، وعبدالله هذا من أصحاب الصادق (عليه السلام) ورواياته كلها عنه وعن أصحابه، وفي عهده (عليه السلام) لم يكن أحد يقول بإمامة عبدالله الأفطح، فعلى فرض بقاء ابن بكير بعد وفاة الصادق (عليه السلام) وقوله بإمامة الأفطح لا يقدر ذلك في أخباره التي رواها عن الباقر (عليه السلام) والصادق (عليه السلام) اللذين يعتقد بإمامتهما، ضرورة عدم تعقل الكذب على إمامه (عليه السلام) سيما بعد تصريح كل من نقل كونه فطحياً بوثاقته في الحديث والاطمئنان بصدقه فيما يرويهِ^(٢١).

والنتيجة التي نستخلصها من الاطلاع على حال عبدالله بن بكير (رضي الله عنه) - خصوصاً مع نقل كبار فقهاء أهل البيت (عليهم السلام) عنه كمحمد بن أبي عمير، وعلي بن الحكم والحسن بن علي بن فضال والقاسم بن عروة ويونس بن عبدالرحمن والحسن بن محبوب وغيرهم -، أن عبدالله من الثقات الذين لا يتوقف في الرواية عنهم وإلا كان الأولى بأكثر من ثلاثين صحابياً هو التوقف في روايته. أما كونه فطحياً فقد استظهر بعض الفقهاء من النجاشي عدمها، حيث لم يذكر كونه فطحياً، ويستبعد من مثل النجاشي عدم الاطلاع على عقيدته مع دفته في الجرح والتعديل، والأمر المهم هو عدم ورود نص من المعصوم (عليه السلام) بفساد عقيدته أو ذمه، مما يدل على رجوعه عن الفطحية خصوصاً من شخصية كبيرة مثله؛ إذ لا يمكننا القول: إنه لم يطلع على الإمام الحق الذي يجب اتباعه.

وبعد أن ينقل المامقاني أسماء من روى عن عبدالله يقول: ثم انظر - وفقك الله تعالى لخير الدارين - هل تجوز رد رواية مثل هذا الرجل الذي روى عنه هؤلاء الجماعة الكثيرة الذين جملة وافية منهم ثقات أجلاء وجملة منهم من أصحاب الإجماع حاشا وكلا لا يمكن الالتزام بذلك^(٢٢).

وهنا سوف نورد مجموعة من الشخصيات الشيعية التي أخذت العلم والرواية عن عبدالله بن بكير، لنرى مدى احتفاء فقهاء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) بما ينقله عبدالله، حيث كان كبار علماء مجتمع الكوفة وغيرها ينقل عنه الرواية، بل إن بعض من نقل عن ابن بكير يُعد من أعيان الشيعة ورؤسائهم في ذلك العصر كإبراهيم الأشعري، الذي يتشدد في الرواية حتى قام بطرد بعض فقهاء الشيعة من قم بسبب اتهامهم بالغلو، وكالحسن بن محبوب الزراد صاحب أحد الأصول التي نقل منها أصحاب الكتب الأربعة مروياتهم، ونستعرض بعضهم فيما يلي:

- ١- محمد بن أبي عمير (ت ٢١٧هـ) من أصحاب الإجماع من الطبقة الثالثة.
- ٢- أبو الفضل العباس بن عامر الثقفي.
- ٣- الحسن بن علي بن فضال (ت ٢٢١هـ) وقد عدّه البعض من أصحاب الإجماع مكان الحسن بن محبوب.

- ٤- الحسن بن محبوب الزراد (ت ٢٢٤هـ) من أصحاب الإجماع من الطبقة الثالثة.
- ٥- عبدالله بن المغيرة الكوفي من أصحاب الإجماع من الطبقة الثالثة.
- ٦- ابراهيم بن يزيد الأشعري.
- ٧- أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي (ت ٢٢١هـ).
- ٨- أحمد بن محمد بن عيسى.
- ٩- إسماعيل بن عباد.
- ١٠- إسماعيل المدائني.
- ١١- أبو محمد جعفر بن بشير البجلي (ت ٢٠٨هـ).
- ١٢- الحسن بن جهم بن بكير بن أعين.
- ١٣- أبو محمد صفوان بن يحيى البجلي بياح السابري (ت ٢١٠هـ) وهو من أصحاب الإجماع من الطبقة الثالثة.
- ١٤- علي بن الحكم.
- ١٥- علي بن رثاب الكوفي.
- ١٦- محمد بن عبدالله الحلبي.
- ١٧- محمد بن عبيدالله بن علي الحلبي.
- ١٨- محمد بن خالد الأصم.
- ١٩- النضر بن سويد الصيرفي.
- ٢٠- يحيى بن عمرو بن خليفة الزيات.
- ٢١- أحمد بن سليمان الحجال.
- ٢٢- أحمد بن محمد بن خالد البرقي.

حماد بن عثمان رضي الله عنه .. والابستومولوجيا الدينية

اجتذب فكر أهل البيت عليهم السلام، الكثير من الفئات الاجتماعية، وكانت شخصية الصادق عليه السلام بما تحمله من علم وتقوى وصفات قيادية تبهر كل من يتعرف عليه، حتى لتكاد هيئته تطفئ على كل الشخصيات الدينية والدنيوية، كما حدث لأبي حنيفة عندما دخل على المنصور فسلم على الصادق عليه السلام، ثم تبه لوجود المنصور الخليفة العباسي، حتى قال: دخلني من الهيبة لجعفر بن محمد ما لم يدخلني لأبي جعفر «المنصور»^(٣)، وقد دان الجميع لشخصية الصادق عليه السلام بدون منازعة، وكان حماد بن عثمان الرواسي (ت ١٩٠هـ)، أحد أولئك الأشخاص الذين انجذبوا لأهل البيت عليهم السلام، واغترفوا من علومهم، وحمل هذا العلم لأجيال الأمة. عاش حماد في بيت ورث المحبة لأهل البيت عليهم السلام، وقد نسب أولاً إلى قبيلة الأزد المعروفة بولائها لأهل البيت عليهم السلام، ومرة أخرى إلى فزارة، حيث قالوا: إنه مولى غني،

أصاب الإجماع.. قراءة في الفكر والتاريخ الشيعي

وذلك يوافق كونه رواسياً، نسبة لمن ينتسبون إلى بني رواس بطن من قيس عيلان، وغني اسم منبه بن سعد بن قيس عيلان^(٢٤)، وهذه القبيلة كذلك عرف عنها الولاء لأهل بيت النبي ﷺ.

وقد روى حماد عن ثلاثة من الأئمة الطاهرين ﷺ، هم الصادق ﷺ والكاظم ﷺ والرضا ﷺ، ويلاحظ على حماد كثرة من أخذ منهم الحديث، حيث بلغ عدد من روى عنهم ٩٧ رAOياً، جلهم من الثقات، كما بلغ عدد مَنْ روى عنه خمسين شخصاً، ووقع حماد في إسناد الكثير من الروايات حيث بلغ عددها ٧٣٤ مورداً.

وكان حماد من الحفاظ الذين رووا الحديث ورعوه، حيث بالغ في السؤال والبحث عن الرواة الثقات ثم جمع كل ما رواه عن الأئمة المعصومين ﷺ في كتاب عُد أحد الأصول الأربعة التي نقل منها أصحاب الكتب الأربعة أحاديثهم. ولقب حماد بالناب، قال السيد الخوئي نقلاً عن الشيخ: حماد بن عثمان الناب، ثقة جليل القدر، له كتاب أخبرنا به عدة من أصحابنا، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن سعد بن عبدالله، والحميري عن محمد بن الوليد الخزاز، عن حماد بن عثمان، وأخبرنا به ابن أبي جيد، عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن محمد بن الحسن الصفار، عن يعقوب، عن ابن أبي عمير، والحسن بن علي الوشاء، والحسن بن علي بن فضال، عن حماد بن عثمان^(٢٥). وقد كانت لحمد صحبة مع ابن أبي يعفور، وأبي بصير ليث بن البختري المرادي، وهما ممن رووا أحاديث أهل البيت ﷺ. وقد نقلت الكتب الرجالية أن لحمد أخوين هما جعفر والحسين، وكذا عبدالله على ما يذهب إليه من يقول بأن حماد بن عثمان بن زياد الرواسي هو نفسه حماد بن عثمان بن عمرو الفزاري.

فقد اختلف علماء الرجال في أن حماد بن عثمان الناب متحد مع حماد بن عثمان بن عمرو بن خالد، أو أنه مغاير له؟

وهنا تعددت الأقوال نوجزها فيما يلي:

١- التغاير والاختلاف بين حماد الناب وحماد الفزاري، وهو قول الحسن بن يوسف بن علي المطهر المعروف بالعلامة الحلي (٧٣٦-٦٤٨هـ)، وابن داود (ت ٧١٠هـ) وبعض الفقهاء الذين تأخروا عنهما، واستظهر الوحيد البهبهاني (١١١٨-١٢٠٦هـ) التعدد.

وقد استدل على تعددهما بالتالي:

أ- أن من تعرض له النجاشي فزاري، ومن تعرض له الشيخ أزدى ولا ارتباط بين القبيلتين.

ب- أن أبا حماد بن عثمان بن عمرو، عبدالله، دون الحسين وجعفر على ما ذكره النجاشي، وأما حماد بن عثمان الناب، فأخواه الحسين وجعفر، على ما ذكره الكشي.

ت- أن جَدَّ حماد، الذي ذكره النجاشي، عمرو بن خالد، وجد حماد الناب زياد الرواسي^(٢٦).

٢- الاتحاد وعدم التغير بين حماد الناب، وحماد الفزاري، وقد ذهب إلى هذا القول الشيخ البهائي (ت ١٠٣٠هـ)، حيث قال: الظاهر أن حماداً هو حماد الناب، وأن ما ظنه العلامة في الخلاصة من تعددهما وهُم، كما يظهر لمن تتبع كتب الرجال، وقد تبع ابن داود العلامة في أنهما اثنان^(٢٧).

وقد قوى القول الثاني السيد الخوئي في كتابه «معجم رجال الحديث» ورد على تلك الأدلة التي ساقها من قال بالتعدد، حيث قال: يمكن الجواب عن الأول بأن حماد بن عثمان يمكن أن يكون أزدياً، وإنما قيل إنه فزاري باعتبار أنه كان مولى غني.

هذا بناء على أنه أزدى، وأما بناء على أنه مولى لأزد، كما في رجال البرقي وفي النسخة المطبوعة من الرجال. فيحتمل أنه كان مولى الأزد في اليمن ومولى غني في الكوفة.

وعن الثاني: بإمكان أن يكون النجاشي تعرض لعبدالله لثبوت وثاقته عنده ولم يكن عبدالله مشهوراً وإنما ذكره أبو العباس في كتابه، وأما الحسين وجعفر فكانا مشهورين وترجمهما النجاشي مستقلاً، وتعرض الكشي لهما دون عبدالله لأن حمدويه ذكر عن أشياخه توثيق الحسين، وجعفر، دون عبدالله.

وأما الجواب عن الدليل الثالث: فيمكن أن يكون زياد الرواسي أحد أجداده، وعمرو ابن خالد جده الآخر، ثم يقول السيد الخوئي: والذي يهون الخطب، أنه لا ثمرة للبحث فإنه ثقة على كل حال، تعدد أو لم يتعدد^(٢٨).

كان حماد شخصية مرموقة في الكوفة، حيث كان يقصده الكثير من طلاب العلم للتلقي على يديه، وقد عده علماء الرجال من أعيان وأقطاب مجتمع الكوفة ومن فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام الذين سعوا بكل جهدهم لنشر العلم والمعرفة، على رغم التنكيل والإرهاب الفكري والنفسي والجسدي الذي تمارسه السلطة العباسية، التي أصبحت أكثر جوراً وتعدياً في زمن هارون العباسي (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩م) الذي نكل بكبار شخصيات مدرسة أهل البيت عليهم السلام فضلاً عن عامة الناس الذين لم يسلموا من القتل والتعذيب في سجون الرهيبة، التي افتقدت لأبسط حقوق الإنسان، كما حدث لابن أبي عمير كما سيأتي، حيث سجن وعذب وصودرت أمواله، على رغم كونه قطب الرحي في مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

ولكن مع كل ذلك البطش والإرهاب إلا أن الفقهاء قد مارسوا دوراً كبيراً في ترويج مبادئ الدين الحنيف، وبناء مؤسسات علمية، والتأسيس لحلقات الدرس، وكان حماد ممن التفت حوله طلبه العلم الذين أصبحوا ناقلين للمعرفة والفقه، وممن تتلمذوا عند حماد كبار الفقهاء والرواة الذين ألفوا كتباً أو مارسوا العمل الفقهي والديني في مجتمع الكوفة وغيره، وفيما يلي بعض هؤلاء:

١- محمد بن أبي عمير.

٢- محمد بن أبي نصر البزنطي.

٣- وأبان بن عثمان.

- ٤- وابن سنان.
- ٥- ابن فضال.
- ٦- أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي.
- ٧- ابن أبي نجران.
- ٨- ابن محبوب.
- ٩- إسماعيل بن مهران.
- ١٠- جعفر بن بشير.
- ١١- جعفر بن سماعة.
- ١٢- جعفر بن محمد بن يونس.
- ١٣- ثعلبة بن ميمون.
- ١٤- الحسن بن علي الوشاء.
- ١٥- الحسين بن سيف.
- ١٦- صفوان بن يحيى.
- ١٧- محمد بن الوليد الخزاز.
- ١٨- محمد بن يحيى الخثعمي.
- ١٩- عبدالرحمن بن أبي نجران.
- ٢٠- الحسن بن الحسن بن علي.
- ٢١- محمد بن زياد.
- ٢٢- عثمان بن عيسى.
- ٢٣- حماد بن عيسى.
- ٢٤- العباس بن عامر.
- ٢٥- محمد بن يحيى الصيرفي.
- ٢٦- القاسم بن محمد.
- ٢٧- عبدالله الحجال.

حماد بن عيسى البصري رضي الله عنه الفقيه والمربي

يُعد حماد بن عيسى الجهني (ت ٢٠٩هـ)، من الفقهاء الكبار الذين أثاروا في تاريخ الفقه الشيعي، لقيامه بالعديد من الأعمال كتصنيف الكتب الحديثية، وتربية مجموعة من الفقهاء الذين قادوا المجتمع الشيعي أيام المحنة، وقد روى الجهني عن الإمام الصادق عليه السلام والكاظم عليه السلام، كما روى عن الكثير من الفقهاء الذين حملوا الرواية عن أهل البيت عليهم السلام، وعاصر الجهني الإمام الرضا عليه السلام والإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام (١٩٥- ٢٢٠هـ/ ٨١١

٨٣٥م)، له ثلاثة كتب وهي:

١- كتاب النوادر «مجموعة من المواعظ والعبر وتبسيهات على منافع الأعضاء من الإنسان والحيوان، وفصول من الكلام في التوحيد، وهو مسائل سأل عنها الإمام الصادق عليه السلام»^(٢٨).

٢- كتاب الزكاة «وهو مجموعة من الروايات المتعلقة بأحكام الزكاة»، وأكثر المرويات أخذها عن حريز، والقليل منها عن غيره.

٣- كتاب الصلاة «وهو مجموعة من الروايات المتعلقة بأحكام الصلاة». وقد روى هذه الكتب التي تعتبر من الأصول الأربعمئة التي نقل عنها أصحاب الكتب الأربعة أحاديثهم، فقهاء ومحدثون من كبار مجتمع ومدرسة أهل البيت عليهم السلام، فقد حدث عن كتاب الزكاة محمد بن إسماعيل الزعفراني، وأخبر بها جميعاً إسماعيل بن سهل عن حماد^(٢٩).

وحماد أصله كوفي، لكنه سكن البصرة، ويبدو أن تغيير سكنه من الكوفة للبصرة، له أسباب عديدة أحدها شدة وطأة السلطات الأموية والعباسية على سكان الكوفة، لكونهم معروفين بالولاء لآل الرسول صلوات الله عليهم، وقد تركت هذه السياسة غالب المجتمع الكوفي يرحح تحت وطأة الفقر والحاجة، وكانت عيون السلطة وجواسيسها ترقب تحرك الناس وتعد عليهم أنفاسهم، وتزج بهم في السجون لمجرد تهمة الميل إلى آل الرسول صلوات الله عليهم، إلى درجة ألجأت الناس للتبرؤ حتى من اسم علي بن أبي طالب عليه السلام، كما حدث عندما جاء أحدهم يطلب من الوالي أن يقضي له، لأن أبويه قد سمياه علياً^(٣٠).

وقد يكون ذهابه للبصرة التي عرفت بانحرافها عن آل الرسول صلوات الله عليهم، للإفلات من عيون السلطة وجواسيسها، والقيام بدور التبليغ الديني والدعوة لآل البيت عليهم السلام، خصوصاً وأن المجتمع البصري قد تحول بعض منه إلى آل الرسول صلوات الله عليهم، وكان ذلك عند بداية الدولة العباسية التي رفعت شعار الدعوة للرضا من آل محمد صلوات الله عليهم، والناس بطبعهم مع من غلب إلا من عصم الله، ويمكن معرفة قوة نمو تيار هذه الدعوة من خلال الثورة التي قادها محمد بن عبدالله (ت ١٤٥هـ) المعروف بذي النفس الزكية، حيث كان أخوه إبراهيم (ت ١٤٥هـ)، وكيلاً له في البصرة، وكان مختبئاً، وعندما ظن أن أخاه قد خرج في مكة أعلن هو عن الثورة في البصرة، وقد خرج الكثير من البصريين وغيرهم مع هذا القائد العلوي حتى كاد المنصور العباسي أن يضر من الكوفة ويختبئ بسبب نجاحات إبراهيم العسكرية.

وقد كان حماد لفترة طويلة معدماً، لا يملك من متاع الدنيا شيئاً، بل لم يكن قادراً على الزواج وبناء دار له، وكان هذا الأمر طبيعياً بالنسبة للموالين لآل الرسول صلوات الله عليهم، حتى كان الإمام موسى الكاظم عليه السلام نفسه لا يملك المال لتزويج أبنائه مع أنه إمام الأمة ورأس بني هاشم، وما كان أمام حماد إلا أن يلجأ إلى الله وأهل البيت عليهم السلام، الذين عرفوا

أصاب الإجماع.. قراءة في الفكر والتاريخ الشيعي

بالكرم والسخاء، فجاء إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وقال له: جعلت فداك، ادع الله لي أن يرزقني داراً وزوجة وولداً وخادماً والحج في كل سنة، فقال عليه السلام: اللهم صل على محمد وآل محمد وارزقه داراً وزوجة وولداً وخادماً والحج خمسين سنة، قال حماد: فلما اشترط خمسين سنة علمت أنني لا أحج أكثر من خمسين سنة، قال حماد: وحججت ثمانين وأربعين سنة، وهذه داري قد رزقتها، وهذه زوجتي وراء الستر تسمع كلامي، وهذا ابني وهذا خادمي، قد رزقت كل ذلك.

فحج بعد هذا الكلام حجتين تمام الخمسين، ثم خرج بعد الخمسين حاجاً فزامل أبا العباس النوفلي القصير، فلما صار في موضع الإحرام (ميقات مسجد الشجرة)، دخل يفتسل فحملة الوادي (أي جاءه السيل) فأغرقه الماء - رحمننا الله وإياه - قبل أن يحج زيادة على الخمسين^(٣٢)، وقد قدر عمره حين وفاته في الكتب الرجالية بنيف وتسعين سنة.

ينقل السيد الخوئي رحمته الله بعد أن يورد هذه الرواية في كتابه «معجم رجال الحديث»، رواية أخرى قد تُوهم بالشك في عدالة حماد بن عيسى، لكنه يناقشها متناً وسنداً حيث يقول: قد يناقش في عدالة الرجل بما عن «كشف الغمة» عن أمية بن علي القيسي، قال: دخلت أنا وحماد بن عيسى على أبي جعفر عليه السلام (الجواد) بالمدينة لنودعه، قال عليه السلام: لا تحركا اليوم وأقيما إلى غد، فلما خرجا من عنده قال لي حماد: أنا أخرج فقد خرج ثقلي، فقلت أما أنا فأقيم، فخرج حماد، فجرى الوادي تلك الليلة ففرق فيه، وقبره بسيالة، فإن مخالفة نهي الإمام عليه السلام تنافي العدالة.

والجواب عن ذلك:

أولاً: أن الرواية مرسلة لا يمكن الاعتماد عليها.

وثانياً: أن أمية بن علي القيسي لم تثبت وثاقته.

وثالثاً: أن الأمر من الإمام عليه السلام لم يعلم كونه مولوياً، ومخالفة الأمر الإرشادي لا تضر العدالة^(٣٣).

كان حماد متحرزاً في نقل الرواية، فلم يكن همه أن يُحدِّث بقدر ما كان جهده منصباً في التثبت من الرواية التي ينقلها، فقد قال: سمع أنا وعباد بن صهيب البصري من أبي عبد الله عليه السلام، فحفظ عباد ما نثني حديث وقد كان يحدث بها عنه (عن أبي عبد الله عليه السلام) عباد، وحفظت أنا سبعين (حديثاً)، فلم أزل أشكك نفسي حتى اقتصررت على هذه العشرين حديثاً التي لم تدخلني فيها الشكوك^(٣٤).

ومع ذلك فقد وقع حماد بن عيسى في إسناد كثير من الروايات تبلغ ألفاً وستة وثلاثين مورداً^(٣٥)، وقد حدِّث عنه ما يقارب ٥٩ رجلاً من كبار فقهاء مدرسة آل البيت عليهم السلام، كما حدث هو عن الكثير من رجال وحفاظ الحديث يصل عددهم إلى خمسين رجلاً، لكن يبدو

أن معلمه الأول الذي تتلمذ على يديه هو حريز بن عبدالله السجستاني، حيث بلغت رواياته عنه ٤١٠ موارد، والشخص الآخر الذي تتلمذ على يديه وأخذ عنه الرواية هو الحسين بن المختار حيث تبلغ رواياته عنه سبعة وخمسين مورداً.

وأما من روى عنه وأخذ العلم عنه وتلمذ على يديه، فهم جماعة من كبار فقهاء وعلماء الكوفة والبصرة نأتي على بعضهم، وهم:

١- محمد بن أبي عمير (ت ٢١٧هـ).

٢- ابن أبي نجران.

٣- أحمد بن أبي نصر.

٤- أحمد بن محمد بن أبي نصر.

٥- أحمد بن محمد بن عيسى.

٦- أحمد بن محمد بن خالد.

٧- الحسن بن الحسين الضرير.

٨- إسماعيل بن سهل.

٩- الحسن بن الحسين الطبري.

١٠- الحسن بن راشد.

١١- الحسن بن ظريف.

١٢- الحسين بن سعيد.

١٣- سليمان بن جعفر الجعفري.

١٤- سليمان بن داود المنقري.

١٥- العباس بن معروف.

١٦- محمد بن إسماعيل الزعفراني.

١٧- علي بن حديد.

١٨- صفوان بن يحيى.

١٩- علي بن مهزيار.

٢٠- الفضل بن شاذان.

٢١- محمد بن الحسن البصري.

٢٢- محمد بن الحسن بن أبي خلف.

٢٣- محمد بن خالد البرقي.

٢٤- محمد بن عيسى العبيدي.

٢٥- محمد بن القاسم.

٢٦- يعقوب بن يزيد.

أبان بن عثمان البجلي رضي الله عنه والتيارات الفكرية

لقب أبان بن عثمان بالأحمر، وأرجع علماء الرجال ذلك إلى كونه محمر الوجه، أي أبيض تخالطه حمرة فتكون (الأحمر) صفة لأبان، وتارة أخرى لقب بالأحمر، وكذلك بالبجلي نسبة إلى بجلة وهو أب لحي من أحياء بني سليم بن منصور، وإلى بجيله إن كان بفتح الجيم، وذلك أن أهل اللغة صرحوا بأن بجلة بلام واحدة أبو حي من بني سليم، نُسبوا إلى أمهم وهي بجلة بنت هناة بن مالك بن فهم الأزدي، والنسبة إليهم بجلي، وبجيله كذلك حي باليمن نُسبوا إلى جدهم بجيله بن أنمار بن أرش بن عمرو بن الغوث^(٣٧)، وقد لقب أبان كذلك باللؤلؤي كما في بعض الكتب الرجالية.

ويعود أحد أسباب الخلاف في نسب أبان وغيره إلى العامل السياسي والأمني، حيث كانت السلطة تأخذ على بعض القبائل العربية موالاتها للتيارات المعارضة للدولة التي اعتادت الاستهانة بالناس ومصادرة حرياتهم والتلاعب بالمال العام وتسخيره لخدمة شهوات الحاكم، وقد كانت نسبة المعارضة في القبائل العربية مختلفة تبعاً لقربها من أحد تيارات المعارضة السياسية والفكرية في المجتمع الحضري آنذاك، لكن ما عرف عن القبائل التي كانت قريبة من الكوفة هو شدة ولائها لآل الرسول صلوات الله وسلامته عليه، وكانت بعض هذه القبائل تأوي المطاردين من قبل السلطة العباسية والأموية، كما حدث لبعض أبناء الإمام الكاظم عليه السلام، وبعض الفقهاء والشخصيات العلمية والسياسية الشيعية كهشام بن الحكم، الفقيه المتكلم، الذي عُد أحد أركان مجتمع الكوفة، والذي اختفى من هارون العباسي في قصة مشهورة.

وكي يخفي الشخص ولاءه الديني والسياسي يلجأ إلى الانتساب لقبائل أو منطقة معينة، لكن في فترات لاحقة قد تتوضح النسبة الحقيقية عند بعض الباحثين أو الناس، وتكون غير ذلك عند البعض الآخر فتتعدد النسبة، وعندما تصبح مكانة شخص ما في المجتمع في الصدارة تتوجه الكثير من الأسئلة، أحدها عن نسب هذا الشخص، ومن أي منطقة جاءت عائلته؟

هذه التساؤلات التي كانت تثار تجاه شخصيات المجتمع الكوفي أو البصري وغيره، كان لها الأهمية الكبيرة في معرفة حركة بعض القبائل العربية أو التيارات السياسية والفكرية التي سادت حواضر العالم الإسلامي آنذاك، وفي بحثنا عن شخصية أبان وتأثيرها في الحركة الفكرية والسياسية في المجتمع العراقي، نلاحظ أنه بجلي النسبة، وهي القبيلة العربية التي احتضنت مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وفي مجتمع سادت فيه روح القبيلة لا يمكن أن نتصور أن قبيلة بحجم بجلة لا يكون لأبان الشخصية الفقهية التي دان لها فقهاء وحفاظ العامة، تأثير في نمو الوعي السياسي والثقافي والفقهي داخل قبيلته التي عرفت بميلها الواضح لأهل البيت عليهم السلام.

وبسبب دوره الكبير ونشاطه المتعدد كان أبان كغيره يحظى بالتأييد لدى فئة كبيرة من المجتمع، وفي الوقت ذاته كانت فئة أخرى تكيل له التهم وتمارس عملية التشويه لحركته

وشخصه، وقد انصبت التهم الموجهة إليه في الجانب الفكري والعقائدي، حيث ظهرت في العراق العديد من التيارات الفكرية، والتي تميزت باللباس المذهبي، فكان ينسب تارة لهذا التيار وأخرى لغيره، إلى درجة أنه نسبَ لتيارات فكرية متناقضة ومختلفة ومتعاكسة.

التيارات الفكرية والمذهبية في الكوفة:

اتسمت الكوفة بالحركة والنشاط الفكري والثقافي والسياسي، وكان التنوع الفكري والتعدد الثقافي يصبغ الحياة العامة فيها، وتعددت تجاذبات الكوفة مع المدارس الأخرى كالبغدادية والبصرية، فمع التنوع التي تتسم به الكوفة إلا أن الريادة لفقهِ وفكر أهل البيت (عليه السلام)، وكان لهذه التجاذبات بين المدارس الفكرية أثره في التطور الفكري وزيادة التنوع المعرفي، فقد خرج العديد من الشخصيات الفكرية على المبادئ الأساسية أو الفرعية التي تلقوها عن مدارسهم، وأسسوا بذلك مدرسة أخرى قد تتنظم تحت مبادئ المدرسة الأم في الخطوط العامة وتخالفها في التفاصيل، وقد تختلف معها في بعض الكليات.

وبما أن السلطة كانت ترى لنفسها الحق في تحديد مسار الحركة الفكرية، فلا يمكن أن تتركها أو تغفل عن حركتها وتوجهاتها، كما هو حاصل الآن من قبل العديد من الأنظمة العربية والإسلامية، التي تسعى لفرض الرأي الواحد على مجتمعات متعددة الفكر والمذهب، وكانت الدولة العباسية أكثر اهتماماً بحركة الفكر ونوعيته، إلى درجة قيام الخليفة بفرض رأيه الفكري والديني على عامة المجتمع الإسلامي، كما نلاحظ ذلك في مسألة القول بخلق القرآن، أو ما قام به المأمون العباسي (١٧٠-٢١٨هـ/٧٨٦-٨٣٣م) أو المتوكل العباسي (٢٠٦-٢٤٧هـ/٨٢١-٨٦١م).

وأحد أسباب الانشقاق في التيارات الفكرية، هو ما تمارسه السلطة من توجيه، أو عندما يرغب شخص في التقرب إلى السلطة فيحدد خياراته الفكرية التي تتسجم وتوجه الدولة السياسي، وسوف نبحت هنا بعض «الفرق» الفكرية أو المذهبية دون الدخول في التفاصيل، ونخص بها الفترة التي تلت وفاة الإمام الصادق (عليه السلام) عام ١٤٨هـ.

الناووسية.. نشأة الوهم وسرعة الانقراض:

نلاحظ على الباحثين الذي عنوا بالتأريخ للفرق الكلامية وغيرها التي نشأت في القرون الثلاثة، الثاني والثالث والرابع الهجرية، عدم وجود ضابطة يمكن على أساسها اعتبار مجموعة من الناس أصحاب مذهب أو أصحاب فرقة، ومع أن أبا الفتح محمد ابن عبدالكريم الشهرستاني (٤٧٩/٥٤٨هـ) سعى لجعل ضابطة لتحديد كون هذه الجماعة أصحاب فرقة أو قول يندرج ضمن تعدد الآراء، إلا أنه لم يلتزم بذلك، حيث نراه يجعل جماعة قليلة لا يعدون على الأصابع فرقة أو مذهباً كباقي المذاهب، وقد أحدث هذا تشوهاً

في النظر لمسار حركة بعض المذاهب الإسلامية العريقة.
ولا نشك أن بعض الآراء التي نسبت لبعض الفرق الإسلامية هي من أكاذيب من يخالفونهم الرأي، ولذلك على الدارس لهذه الفرق ألا يركن إلى أصحاب كتب الملل والنحل، لأنهم غالباً ما ينقلون الرأي مشوهاً أو مبتوراً، كما نشاهد ذلك عند علي بن إسماعيل الأشعري (ت ٣٣٠هـ) في كتابه «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين»، وعبدالقاهر بن طاهر البغدادي (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م) في كتابه «الفرق بين الفرق»، وبالأخص علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦هـ) في كتابه «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، الذي مال كثيراً مع أهوائه وآرائه الشخصية وحاكم الآخرين على اختلافهم معه، وقد أصبحت هذه الكتب بما تحمل من تشويه وتدليس وكذب مادة لنمو التطرف والغلو وتكفير المسلمين، في ثقافتنا المعاصرة، ونما التيار السلفي على الكثير من مقولات أصحاب كتب الملل والنحل، وحاكم الناس على أساس أقوال لا صحة ولا سند لها.

«والناووسية كراي لدى جماعة حُمِّل أكثر مما يحتمل فجعلها كل أصحاب تلك الكتب من الفرق الشيعية، مع أنها انقرضت قبل أن تولد، وهم أتباع عجلان بن ناووس من أهل البصرة، قالوا إن جعفر بن محمد (عليه السلام)، لم يموت ولا يموت حتى يظهر أمره، وهو القائم المهدي»^(٣٧)، وقيل: إنهم نسبوا إلى قرية ناووس.

«إذا تردد أمر مؤسس المذهب من أنه هو «ناووس» أو ابنه عجلان، أو شخصاً ثالثاً منسوباً إلى «ناووس» يكون أولى بأن يشك في أصله وغاية ما يمكن أن يقال طروء الشبهة لشخص أو شخصين في أمر المهدي فزعموا أنه الإمام الصادق (عليه السلام)، لكن ماتت الشبهة بموت أصحابها ولا يعد مثل ذلك فرقة، غير أن حب أصحاب المقالات لتكثير فرق الشيعة أولاً، وفرق المسلمين ثانياً لتجسيد حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، جرهم إلى عد هؤلاء فرقة»^(٣٨).

الفتحية.. فكرة عمرها سبعون يوماً فقط:

عادة ما يلتبس الأمر عند بعض الناس بعد رحيل المؤسس لدين أو مذهب أو اتجاه فكري، فتتعدد التفسيرات وتقسّم ولآءات الموالين، وهو أمر ملاحظ في كل الأديان والمذاهب والاتجاهات الفكرية، ولم يشذ المجتمع العراقي عن هذه القاعدة المطردة، فقد ظهرت بعض الآراء التي تسعى لكسب ود وولاء عامة الناس، وقد تكون بعض هذه الآراء نابعة من حب الظهور والرئاسة، وقد يكون بعضها نابغاً من الجهل وعدم المعرفة، وقد تدخل العوامل السياسية في تكوين بعضها.

والفتحية كراي قال به البعض: «لم يُكتب له الاستمرار أكثر من سبعين يوماً كما ينقل بعض الرواة، وقد نشأت الفتحية بعد رحيل الإمام الصادق (عليه السلام) حيث قال جماعة بإمامة

عبدالله الأفتح بن الإمام الصادق عليه السلام، وعن الشهيد رحمته الله أنهم يدخلون عبدالله بن الكاظم عليه السلام والرضا عليه السلام، وقد كان أفتح الرأس، وقيل: أفتح الرجلين، وإنما دخلت عليهم الشبهة مما رووا عن الأئمة عليهم السلام: الإمامة في الأكبر من ولد الإمام، ثم منهم من رجح عن القول بإمامته لما امتحنوه بمسائل من الحلال والحرام ولم يكن عنده جواب، ولما ظهرت منه الأشياء التي لا ينبغي أن تظهر من الإمام، ثم إن عبدالله مات بعد أبيه بسبعين يوماً، فرجع الباقر - الشاذل منهم - عن القول بإمامته إلى القول بإمامة أبي الحسن موسى عليه السلام ^(٣٩).

الواقفة.. سبب النشأة حب المال:

كانت الأعوام التي تلت وفاة الإمام الصادق عليه السلام بل الفترة من ١٣٦- ١٨٣هـ، سنين عصبية على المواليين لأهل البيت عليهم السلام، حيث اشتدت السلطات في ممارسة أساليب البطش والتكيل والقتل والإرهاب، ونظرة بسيطة إلى الثورات التي اندلعت في هذه الفترة تثبت عمق الكبت وشدة الوطأة على الناس، فقد اندلعت في هذه الأعوام الكثير من الثورات الشعبية التي طالبت السلطة بممارسة العدل والقسط بين الناس، لكن القوة والمواجهة المسلحة كانت الرد الأوحى لكل من يطالب بتطبيق العدالة، وكى نعرف وحشية السلطة العباسية تجاه المجتمع عامة والعلويين خاصة ينقل لنا الطبري الحادثة التالية:

لما عزم المنصور على الحج دعا ريطة بنت أبي العباس امرأة المهدي وكان المهدي بالري قبل شخوص أبي جعفر فأوصاها بما أراد، وعهد إليها ودفع إليها مفاتيح الخزان، وتقدم إليها وأحلفها ووكد الإيمان ألا تفتح بعض تلك الخزان، ولا تُطلع عليها أحداً إلا المهدي، ولا هي إلا أن يصح عندها موته، فإذا صح ذلك اجتمعت هي والمهدي وليس معهما ثالث حتى يفتحا الخزانة، فلما قدم المهدي من الري إلى مدينة السلام دفعت إليه المفاتيح وأخبرته أنه تقدم إليها ألا تفتحه ولا تُطلع عليه أحداً حتى يصح عندها موته، فلما انتهى إلى المهدي موت المنصور وولي الخلافة فتح الباب ومعه ريطة، فإذا أَرَجَّ كبير (بناء ستطيل) فيه جماعة من قتلى الطالبين، وفي آذانهم رقاع فيها أنسابهم، وإذا فيهم أطفال، ورجال شباب، ومشايخ عدة كثيرة، فلما رأى ذلك المهدي ارتاع لما رأى وأمر فحضرت لهم حفيرة فدفنوا فيها، وعمل عليهم دكاناً ^(٤٠).

وطال هذا العدوان الجميع ووصل إلى قيادات الأمة وممثليها الواقعيين، كالإمام الكاظم عليه السلام الذي مكث في سجن هارون الرشيد أكثر من خمس عشرة سنة، في ظامورة تحت الأرض، وفي نهاية المطاف دس إليه السم ليلقى ربه شهيداً عام ١٨٣هـ.

وفي هذا الواقع الذي لم تحترم فيه السلطة العباسية لا قيم الدين ولا حقوق الناس ولا العادات والتقاليد العربية المتأصلة في المجتمع، كان من الطبيعي أن تنمو الاتجاهات الفكرية المنحرفة، خصوصاً إذا كانت تخدم سياسة السلطة. وبالفعل بعد وفاة الكاظم عليه السلام استغل

البعض هذه الفرصة ليحقق مكاسب آنية، فبعد أن مكث الإمام الكاظم عليه السلام خمس عشرة سنة في السجون العباسية، كانت مجموعة من وكلائه يجمعون الحقوق الشرعية ويكسبونها عندهم، وتراكمت الأموال وكانت أحد الأسباب الأساسية في القول بالوقف، والمبدأ الأساس في حركة الوقف هو أن الإمام الكاظم عليه السلام الذي أُعلن عن وفاته وشيعة المسلمون إلى مثواه الأخير ودفن في مقابر قريش لم يمّت وأنه المهدي الذي يخرج آخر الزمان، وعندها لا يمكن تسليم الأموال للإمام الذي يأتي من بعده، لأنه هو الإمام وليس هناك إمام يخلفه، وبهذا تبقى الأموال في أيديهم.

أنكر زعماء حركة الوقف إمامة الإمام الرضا عليه السلام، مع كثرة الدلائل والبراهين الدالة عليها، لكن ذلك لم يثن الإمام عن مواصلة توجيه الأمة، فرغم أن إحدى الوظائف العقلية والشرعية الأساسية التي يجب على المسلمين في كل زمن هي معرفة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، إلا أن غالب الناس يخرج من الدنيا وهو يجهل معرفتهم، وذلك لا يضر الحق، لكن ما حدث عند الواقفة هو معرفتهم بالإمام الرضا عليه السلام، ومع ذلك واصلوا الإنكار والجحود مما أوصلهم لإنكار كثير من أحكام الدين.

زعماء حركة الوقف:

بدأت حركة الوقف تنظم نفسها تحت ثلاث قيادات أساسية، مباشرة بعد وفاة الإمام الكاظم عليه السلام، وقد أحدثت هذه القيادات محنة داخل مجتمع الموالين لآل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وبالأخص في الكوفة والبصرة وبغداد، والعراق عموماً، وكانت المحنة أقل شدة في المدينة المنورة حيث يقيم الإمام الرضا عليه السلام، رغم أنه لم يصرح بإمامته إلا بعد ثلاث سنوات من وفاة أبيه بسبب رقابة السلطة والأوضاع المتأزمة، لكن الكثير من الخوارج وغيرهم كذلك كانوا قد قالوا بإمامة الرضا عليه السلام. أما قيادات الوقف الذين نظموا هذه الحركة المناهضة للعترة الطاهرة فهم:

- 1- علي بن أبي حمزة البطائني.
- 2- زياد بن مروان القندي.
- 3- عثمان بن عيسى الرواسي.

قال يونس بن عبدالرحمن رحمته الله: مات أبو الحسن عليه السلام وليس من قُوامه (وكلائه) أحد إلا وعنده المال الكثير، فكان ذلك سبب وقفهم وجحودهم لموته، وكان عند زياد القندي سبعون ألف دينار، وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار، قال: فلما رأيت ذلك وتبين الحق وعرفت من أمر أبي الحسن عليه السلام ما علمت تكلمت ودعوت الناس إليه، قال: فبعثنا إليّ وقالوا: ما يدعوك إلى هذا؟ إن كنت تريد المال فتحن نغنيك وضمنا لي عشرة آلاف دينار وقالوا لي: كف، فأبيت وقلت لهم: إنا روينا عن الصادقين عليهم السلام أنهم قالوا: إذا ظهرت

البدع فعلى العالم أن يظهر علمه فإن لم يفعل سُلِبَ منه نور الإيمان، وما كنت لأدع الجهاد في أمر الله على كل حال فناصراني وأضمرا لي العداوة^(٤١).

وقد استطاع زعماء الواقفية بما تهيأت لهم من الإمكانيات المالية الكبيرة، وما اتاحت لهم من حرية التحرك من قبل السلطات العباسية، من شراء بعض الضمائر واستماله بعض الشخصيات النافذة في مجتمع العراق، مثل حمزة بن بزيع، وابن المكاري، وكرام الخثعمي. لكن ومع مرور الأيام بدأت الصورة تتضح عند عامة الناس، فرجع البعض عن القول بالوقف، وكان أحد هؤلاء من زعماء الواقفة وهو عثمان بن عيسى الرواسي، وأحمد بن محمد بن نصر البنزطي، والحسين بن بشار، والحسين بن عمر بن يزيد، وعبدالله بن المغيرة، ونلاحظ هنا كيف أثرت حركة الوقف حتى دخل فيها بعض الشخصيات المهمة في تاريخ التشيع، وبالطبع لم يكن وقف بعض هؤلاء نتيجة حب المال بل كان لبعضهم شبهات فلما انكشف الحق لهم انقادوا إليه.

كانت هذه بعض تموجات الحركة الفكرية في الكوفة والعراق عموماً، والتي كان غالباً يمتد تأثيرها للحواضر الإسلامية الأخرى، وبالطبع كان أبان وهو يعايش هذا الوضع يتأثر به، لكنه لم يخرج عن الجادة، بل لزم المحجة وسار مع الحق، ومع ذلك اتهم تارة بكونه ناووسياً، وهي التهمة التي ينزع الفقهاء إلى نفيها عنه، وتارة أخرى بأنه فطحي، وثالثة بأنه واقفي.

أبان.. وآيات الإخلاص للحق:

بالغ الكثير من علماء الرجال في الدفاع عن أبان ونفي التهم الموجهة إليه، وكانت دقة بعضهم قد وصلت إلى درجة ملاحظة اختلاف النسخ لمعرفة اللفظ الصحيح، كالمحقق الأردبيلي رحمته الله، الذي مال إلى نفي كونه ناووسياً، ومن الأدلة على نفي كل تلك التهم، كثرة الروايات التي كان أبان في طريقها، وهي تؤكد على الأئمة الأثني عشر عليهم السلام، فلو كان ضعفه ما نسب إليه من فساد المذهب فروايته في الأثني عشر عليهم السلام تنافي الوقف والفظحية والناووسية^(٤٢).

ثم إن النجاشي أحمد بن علي (٣٧٢/٤٥٠هـ) وهو العالم الثبت المتبحر في معرفة الرجال، وشيخ الطائفة الطوسي (ت ٤٦٠هـ) في كتبهما الرجالية، والموضوعة لبيان ومعرفة أحوال الرجال من ناحية صحة العقيدة وفسادها، وثقة الراوي من عدمها، لم يتعرضوا أصلاً لكون أبان فاسد العقيدة، وهي أمانة واضحة على توثيقه، وسلامته من الخدش.

قال النجاشي رحمته الله: «إن أبان أصله كوفي كان يسكنها تارة، والبصرة تارة أخرى، وقد أخذ عنه أهلها: أبو عبيدة معمر بن المثنى (١١٠/٢٠٩هـ) وهو أحد أئمة النحو والعلم بالأدب واللغة، وكان أباظياً شعوبياً يعد من حفاظ الحديث، وأبو عبدالله بن سلام (١٥٧/

٢٢٤هـ) وهو من كبار العلماء بالحديث والفقه، وأكثروا الحكاية عنه في أخبار الشعراء والنسب والأيام»^(٤٣).

يُعد أبان أحد أصحاب الأصول الأربعمئة المذكورة، حيث نُقل أن له كتاباً كبيراً وصفه الرجاليون بأنه حسن، وهو يجمع فيه روايات المبدأ والمغازي، والوفاء، والردة، ويبدو أن له أكثر من كتاب لكن ما عرف من مصنفاته إلا كتابه الذي يجمع المبدأ والمبعث والمغازي، والوفاء والسقيفة والردة، وقد جمع فيه أخبار ابتداء أمر النبي ﷺ ورسائله وأخبار مبعثه ومغازيه ووفاته ويوم السقيفة وأخبارها وأخبار ارتداد العرب عن الإسلام بعد السقيفة، وقد صنّف في ذلك جماعة من رواة أصحابنا الأقدمين إلا أن أبان بن عثمان له فضل السبق والتقدم في ذلك^(٤٤) □

الهوامش:

- (١) القرآن الكريم، سورة الشورى، آية ٢٣.
 - (٢) الرازي، أبو غالب، تاريخ آل زرارة، تاريخ الطبع ١٣٩٩هـ، المطبعة رباني، ج ١ ص ٣٨.
 - (٣) التفريشي، السيد مصطفى، نقد الرجال، تحقيق مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، الطبعة الأولى، عام ١٤١٨هـ، المطبعة ستارة- قم، الناشر مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، ج ٥ ص ٢٠.
 - (٤) المجلسي، العلامة محمد باقر، بحار الأنوار، المطبعة مؤسسة الوفاء عام ١٤٠٣هـ، الناشر مؤسسة الوفاء- بيروت، ج ٢ ص ٢٥١.
 - (٥) القرآن الكريم، الأنعام، آية ٨٩.
 - (٦) الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال، تحقيق وتصحيح، محمد تقي فاضل المبيدي-السيد أبو الفضل الموسويان، الناشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي- طهران، مؤسسة الطباعة والنشر، سنة الطبع ١٤٢٤هـ، ص ٣٢٤.
 - (٧) المصدر السابق ص ٢٨٢.
 - (٨) داود، حامد حنفي، نظرات في الكتب الخالدة، الطبعة الأولى، سنة النشر ١٣٩٩هـ، مطبعة دار
- العلم الناشر مطبوعات النجاح - القاهرة، تحقيق السيد مرتضى الرضوي، ص ١٠١.
 - (٩) بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٢٣ ص ٢١.
 - (١٠) معجم رجال الحديث، مصدر سابق، ج ١١ ص ٣٥٠.
 - (١١) المصدر السابق، ج ١٥ ص ١٥٦.
 - (١٢) المصدر السابق، ج ١١ ص ٣٥١.
 - (١٣) بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ١ ص ٨٧.
 - (١٤) معجم رجال الحديث، ج ١١ ص ٣٤٩.
 - (١٥) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ٨ ص ٢١٥.
 - (١٦) السبحاني، العلامة الفقيه جعفر، بحوث في الملل والنحل، دراسة موضوعية مقارنة للمذاهب الإسلامية، الطبعة الأولى، مطبعة اعتماد- قم، تاريخ الطبع ١٤١٦هـ، الناشر مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام) ج ٧ ص ٥٤.
 - (١٧) اختيار معرفة الرجال، مصدر سابق، ص ٣٤٩-٣٥٠-٣٥١.
 - (١٨) البحراني، السيد هاشم، مدينة المعاجز، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، الناشر، مؤسسة المعارف الإسلامية، ج ٦ ص ٣٩٨.

- (١٩) الحنفي، الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي، ينابيع المودة لذوي القربى، تحقيق سيد علي جمال الحسيني، الطبعة الأولى عام ١٤١٦هـ، المطبعة دار الأسوة، الناشر دار الأسوة، ج ٣ ص ٣٧٢.
- (٢٠) العاملي، الشهيد الثاني زين الدين الجبعي، روض الجنان، الناشر مؤسسة أهل البيت (عليه السلام)، ١٤١٤هـ، ص ٢١٤.
- (٢١) المامقاني، العلامة الشيخ عبدالله، تنقيح المقال في علم الرجال، مخطوط، ج ٢ ص ١٧١.
- (٢٢) المصدر نفسه.
- (٢٣) أشوب، ابن شهر، مناقب آل أبي طالب، مطبعة الحيدرية - النجف، سنة الطبع ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م، تحقيق لجنة من أساتذة النجف الأشرف، ج ٣ ص ٣٧٩.
- (٢٤) المامقاني، تنقيح المقال، ج ١ ص ٣٦٥.
- (٢٥) الخوئي، معجم رجال الحديث، ج ٧ ص ٢٢٤.
- (٢٦) المصدر نفسه، ج ٧ ص ٢٢٦.
- (٢٧) التبريزي، العلامة الرجالي، الفقيه النبيه، آية الله العظمى الحاج الملا علي العلياري، بهجة الآمال في شرح زبدة المقال، الناشر مؤسسة كوشان بور للثقافة الإسلامية- طهران، الطبعة الأولى، تاريخ النشر ١٤٠٥هـ، ج ٣ ص ٣٦٠.
- (٢٨) معجم رجال الحديث، بتصرف ج ٧ ص ٢٢٦-٢٢٧.
- (٢٩) بهجة الآمال، ج ٣ ص ٣٦٣.
- (٣٠) راجع: معجم رجال الحديث ج ٧ ص ٢٣٨،
- وبهجة الآمال ج ٣ ص ٣٦٣.
- (٣١) الله يعلم.
- (٣٢) اختيار معرفة الرجال، ص ٢٨٢.
- (٣٣) معجم رجال الحديث، مصدر سابق، ج ٧ ص ٢٤٠.
- (٣٤) اختيار معرفة الرجال، مصدر سابق، ص ٢٨١-٢٨٢.
- (٣٥) معجم رجال الحديث، ج ٧ ص ٢٤٢.
- (٣٦) تنقيح المقال، مصدر سابق، ج ١ ص ٥.
- (٣٧) السبحاني، العلامة الفقيه الشيخ جعفر، بحوث في الملل والنحل، دراسة موضوعية مقارنة للمذاهب الإسلامية، ج ٧، ص ٥٢.
- (٣٨) المصدر السابق.
- (٣٩) المصدر نفسه، بتصرف، ص ٥٤.
- (٤٠) الطبري، ج ٦، ص ٣٤٢ و ٣٤٤ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- (٤١) الناصري، رياض محمد حبيب، الواقفية.. دراسة تحليلية، نشر المؤتمر العالمي للإمام الرضا (عليه السلام) - مشهد المقدسة، المطبعة مهر- قم، الطبعة الأولى عام ١٤٠٩هـ، ج ١ ص ٨٢.
- (٤٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٥.
- (٤٣) الأسدي، أبو العباس أحمد بن علي النجاشي الكوفي، رجال النجاشي، «أحد الأصول الرجالية»، تحقيق محمد جواد النائيني، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٨هـ، دار الأضواء - بيروت، ج ١، ص ٨٠، بتصرف.
- (٤٤) المصدر السابق، حاشية، ص ٨١.